كليـــة : الآداب

القسم او الفرع : قسـم التاريـخ

المرحلة: الثـانيـــــــــــــــة

أستاذ المادة : أ.م.د عمـاد كريـم عبـاس

اسم المادة باللغة العربية : تاريـخ الدولـة العثمانيـة

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Ottoman Empire

اسم المحاضرة الثانيـة عشـر باللغة العربيـــة: جذور الصراع العثماني الصفوي

اسم المحاضرة الثانيـة عشـر باللغة الإنكليزية : The Roots of the Ottoman-Safavid Conflict

جذور الصراع العثماني الصفوي :

لقد دأبت الدول الإسلامية الأولى على التصدي للحركات التشيعية التي اتسمت بالهرطقة الدينية ومحاولة شق وحدة الصف الإسلامي لكن ما لبثت إحدى هذه الدعوات المهرطقة أن شاعت في المغرب العربي في القرن الثالث الهجري، مع ضعف قبضة الخلافة العباسية على أقاليمها في المغرب واستطاعت بالفعل هذه الدعوة تكوين أول دولة تنتسب إلي الإسلام على أساس شيعي رافضي وهى الدولة العبيدية المسماة بالفاطمية) ، وما لبثت هذه الدولة أن تحولت إلى خلافة تنازع دولة الخلافة الأصلية (السنية) في زعامتها الروحية وتصبح العدو اللدود لها ، وامتدت سياسياً في القرن الرابع الهجري لتشمل مصر والشام والحجاز حتى استطاع السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب القضـــــــــــــــــــــاء على الحكم الشيعي نهائياً وإسقاط دولته في القرن الســادس الهجـــــري .

ولقد بدأ الخطر الشيعي في الظهور مرة أخرى ، لكن في بلاد المشرق هذه المرة ، من شرقي الأناضول وإيران التي انتمت للمذهب السني منذ الفتح العربي الاسلامي . لكن مع انتماء معظم ايران الي المذهب الحنفي السني ، كانت مرتعاً خصباً للانحرافات الفكرية الدينية ، لامتزاج الدين الإسلامي الحنيف في تلك البقاع مع الموروث الفكري والعقائدي لأهل البلد الأصليين.

فأصبحت إيران تموج بالطرق المبتدعة والطوائف المنحرفة ، فضلا عن غلاة الشيعة وتسرب عدد ليس بالقليل من هذه البدع إلي ما وراء النهر ، حيث تعيش القبائل التركمانية حديثة العهد بالإسلام ، فلم يكد يبدأ القرن الرابع الهجري حتى ظهر في فرغانة وبخارى من أطلقوا على أنفسهم الباب أو بابا ، وتزعموا الفرق الضالة التي تستهدف التحلل من شروط العقيدة وقيود العبادات ، وهكذا تأثرت بعض العناصر التركية حديثة العهد بالإسلام آنذاك ، ووقعت تحت تأثير البدع الايرانية ، فكانت هذه البدع من مميزات التراث الذي حملته معها عند هجرتها الي الأناضول.

لكن التشيع لم يظهر في القبائل التركمانية إلا مؤخراً مع الدعوة الصفوية السلالة الملكية التي تعتمد على المذهب الامامي . لقد كانت الصفوية في بداية أمرها طريقة صوفية في بلدة أردبيل بأذربيجان عند بداية القرن الثامن الهجري ، دخل مؤسسها صفى الدين اردبيل في التصوف على يد الشيخ تاج الدين إبراهيم زاهدي وهو مرشد من جيلان زوج ابنته للشيخ ، وبعد وفاة عمه وشيخه ، غدا الشيخ صفى الدين رأساً للطريقة التي عرفت باسمه فيما بعد لكن هذه الطريقة الصوفية ما لبثت أن تحولت في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي إلي مذهب شيعى رافضي بطريقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة غير مفهومـــــــة وغير مبررة يقول كولين ترنر Colin Turner في ذلك :

مع استخلاف الشيخ الجنيد دخلت الطريقة في تحول هائل ليس من السهل تفسيره ، كان التغير في الميل الديني دراميا ، تراجع التصوف المتأمل أمام غلو هرطقـــــي بشكل صارخ . يفصح (ابن دوزبهان خونجي الكاتب السنى في بلاط السلطـــــــــــــــــــــان يعقوب بن أوزون

حسن آق قيونلو) عن أن أتباع الطريقة دعوا صراحة الشيخ جنيد إلها وابنه ابن الله حيث كان الناس يشدون إليه الرحال ليسجدوا على قدميــه ويعبدوه إلها متناسين واجبات الشريعة.

لا يمكن شرح تحول الصفويين من طريقة سنية صوفية إلي فرقة تتبنى الغلو في على بصفته مجرد تعديل بسيط في التوجه الديني . لقد كان هذا التبدل الدرامي المفاجئ مصحوبا بتغير جذري في ميول الطريقة الصفوية حولها إلي حركة مسلحة ، استطاعت في أقل من نصف قرن أن تنصب إسماعيل حفيد الجنيد على العرش في تبريز . باختصار فإن التحول الديني يجب أن يفهم في ضوء التحول السياسي . ونستنتج من هذا التحول الديني لم يكن أكثر من ستار للطموح السياسي عند الشيخ جنيد ورغم أن التاريخ ملئ بأمثلة عن استغلال الدين سياسياً لكن حالة الشيخ الجنيد تتفرد في أنها كانت الأولى في سلسلة الخطوات التي أدت إلي قيام الدولة الصفوية ومنها إلي تبنى مذهب الإمامة ديناً للدولة. ومن الممكن جداً أنه لو لم يقم الشيخ الجنيد بهذه النقلة الهائلة ، لكانت الطريقة ظلت سنية صوفية ولظل التشيع بعيداً عن مجرى التاريخ الإيراني الذي أحرزته الدولة الصفوية . كانت إيران منذ الغزوة المغولية الكاسحة أرض تنافس وتصارع بين جماعة من أمراء القبائل المتنافسين يرجع بعضهم إلي أصل تركى وينتسب بعضهم الآخر الي المغول ولقد وفق أوزون حسن التركماني رأس قبائل آق قيونلو إلى التغلب على منافسيه جهان شاه رأس قبائل قره قيونلو ليبسط سلطانه بعد ذلك عام ١٤٦٩م على أذربيجـــــان وأرمينيا وإيران حتى خراســـان – حيـــــث كانت السلطـــــة مازالت بيد التيموريين وعلى الجزيـرة الفراتيـــة.

والجدير بالذكر أن من ضمن العوامل التي ساعدت الصفويين على اقامة دولتهم هو ادعاء الانتساب الي آل البيت كما فعل العبيديون (الفاطميون) وهذا بالطبع من شأنه أن يزيد دعوتهم قدرا وأتباعا ونفوذا . لقد لفقت المصادر التي دونت في عهد إسماعيل الصفوي مؤسس الدولة والتي كتبت بعده نسباً للبيت الصفوي يتصل بالإمام موسى الكاظم الإمام السابع للشيعة الجعفرية ، أي إلى الحسين رضى الله عنه، وذلك لكي يصير لــه ولأسرته وخلفائه من بعده الحق أو الشرعية في اعتلاء العرش وتوارثه . لكن الحقيقة أن الشيخ صفى الدين الأردبيلي كان تركيا ، وبالتالي كان أحفاده الذين أقاموا الدولة الصفوية أتراكاً ، ولا صحة لما زعموه من نسبهم إلي آل البيت (العرب أصلا) كما أنهم لم يكونوا من الفرس أو الجنس الفارسي الذي يعتز بفارسيته وبلغته في حين أننا نرى ملوك الصفويين كانوا يتكلمون التركية ، بل إن بعضهم نظم الشعر بالتركية كما كانت التركية لغة بلاطهم وديوانهم ، وما فعلوه بإيران وبالفرس لا يقبل فارسي أن يفعله بوطنه ومواطنيه للبــلاد.

لم يكن ادعاء النسب فقط هو الذي أوصل الصفويين إلى السلطة السياسية، لقد كانت هناك عوامل أخرى اتحدت جميعها مع الظروف السياسية القائمة آنذاك في إيران وشرقي الأناضول، مكنت الصفويين من الوصول إلي السلطة . لقد جمع الشيخ جنيد بين السلطة الروحية والسلطة الفعلية بعد زواجه بأخـــــــــــت أوزون حسن حيث أصبح الصفويين من نسلـــــــــــه أمـــراء البــلاد.